

أ.نادية دشاش

(جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة)

Abstract :

المُلخَص

The profession of teaching through the teacher has always had an important place in society. Its status as transmitter of knowledge has long been respected.

So the purpose of this article is the teaching profession, it appears that as a prospect of attractive career, the old and original as these techniques, the methods taught that evaluated over time.

إن مهنة التعليم من المهن القديمة، الجديدة، قديمة في أصلها وممارستها، جديدة في فنياتها وأساليبها المتطورة، فهي المهنة الوحيدة من خلال المعلم، القادرة على تبليغ رسالة المجتمع. مما جعلها تحافظ على مكانتها المرموقة في المجتمع مقارنة ببقية المهن، لأن مردودها ونتائجها لا يعود على الفرد نفسه فحسب بل يتعداه لكافة المجتمع. لذا جاءت فكرة هذا المقال كمحاولة للتعريف بتلك المهنة، أخلاقيتها والوقوف على خلفيتها وأصولها من خلال التطرق لأدوار المعلم كأحد العناصر الفاعلة في العملية التربوية.

المقدمة

تعد العملية التربوية بكل أبعادها سيرورة ديناميكية مستمرة تتضمن معادلة متفاعلة العناصر تتقاسم أدوارها أطراف عدة أساسها مؤسستين هامتين هما الأسرة والمدرسة. الأسرة باعتبارها أول محيط يتعامل معه الطفل بعدها يأتي دور المدرسة، كواحدة من بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية الهامة، أوكلت لها مهمة تحقيق أهداف المجتمع التربوية من خلال تنمية الطفل والكشف عن مهاراته الاجتماعية على النحو الذي يمكنه من التكيف الاجتماعي السليم ويجعل سلوكه أكثر توافقاً مع محيطه الذي يعيش فيه وبذلك أصبحت المدرسة أحسن وسيلة ومكان يتعلم فيه الفرد رسالة وثقافة مجتمعه. وبما أن التعليم يعد أساس النهضة، يبقى المعلم العنصر الرئيسي في نهضة أي بلد ودفعه إلى الرقي وتربية الأجيال وإعدادهم والارتقاء بهم روحياً وعقائدياً ووجدانياً وخلقياً بصورة مستمرة على ضوء أهداف المجتمع وطموحاته، لما يملكه هذا الأخير أي المعلم من خصائص نفسية، معرفية، اجتماعية وجسمية تؤهله للقيام بدوره على أكمل وجه. وعليه تكون مهمة المعلم أياً كان المستوى الذي يدرس فيه هي تكوين الفرد وإعطاءه النموذج الصحيح لشخصيته متجاوزاً بذلك مرحلة نقل المعارف وتلقينها ليصل به إلى بلورتها وجعلها تساير التطور الحالي.

1- مهنة التعليم كنشاط إجرائي معقد:

التعليم رسالة مقدسة ومهنة سامية، رسالة لأنها تحقق أهداف المجتمع ومقدسة لأنها وسيلة الأنبياء والمصلحين والمرين، ومهنة سامية لأنها تتطلب من أصحابها أخلاقاً حسنة وعلماً منظماً ينبثق من الشعور بالمسؤولية اتجاه الآخرين. وكلمة تعليم مشتقة من الفعل علم وتعلم الشيء أي أتقنه ومصدره الفعل اللاتيني «*Instruction*» وهو نشاط تواصل يهدف إلى إثارة الدافعية لدى المتعلم

وتسهيل تعلمه ويتضمن مجموعة من النشاطات والقرارات التي يتخذها المعلم في الموقف التعليمي، كما أنه علم يهتم بدراسة طرق التعلم وتقنياته وبأشكال تنظيم الموقف التعليمي التي يتفاعل معها الطلبة من أجل تحقيق الأهداف المنتظرة، فهو بذلك تصميم مقصود أو هندسة للموقف التعليمي بطريقة ما « (مرعي، الحيلة، 2002، ص 21)، و الهدف من التعليم ليس "مجرد تعليم وتلقين لمصطلحات جديدة للمتعلمين بل يتعداه إلى فهم تلك المصطلحات المختلفة والجديدة، لذا فالتعلم يختلف عن الفهم، فالقدرة على الفهم تعبر عن مستوى أعلى من عملية التذكر على أساس هذه الأخيرة أي التذكر قد ترضي التلميذ لكن مدلول الفهم يثير انتباهه ويحفزه أكثر" (*Bordeleau et Morency, 2005, p7*)، من هذا المنطلق نجد أن التعليم يتطلب توفير بعض الشروط المادية والنفسية التي تساعد المتعلم على التفاعل النشط مع عناصر البيئة التعليمية في إطار ما يسمى بالموقف التعليمي، واكتساب الخبرة، المهارات والاتجاهات وكذا القيم التي يحتاجها. فهو تلك العملية أين يكون فيها المتعلم ضمن موقف تعليمي، ويكون لديه الاستعداد العقلي والنفسي لاكتساب الخبرات والمعارف والمهارات التي تناسب وقدراته واستعداداته من خلال تواجده في بيئة تعليمية تضمن محتوى تعليميا ومعلما ووسائل تعليمية لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة (مرعي، الحيلة، مرجع سابق، ص 22)، ذلك الفن الذي بواسطته يستطيع المعلم تحفيز المتعلم وتحقيق غاياته وأهدافه وحتى مقاصده التي يترتب عليها تحقيق عناصر الرضا والاستقرار العاطفي لدى المتعلم، لذا يعتبر التعليم جانب من جوانب التربية يهتم بتنمية المجال العقلي والمعرفي عند الأفراد وكنشاط مشترك يتحقق جماعيا " كونه عملية ديناميكية متطورة تتطور بتطور الزمن وفقا لسلوكيات وأعمال المعلمين" (*Durant, 1996, p60*). من خلال تعريف المهنة ومختلف معاييرها، هل يمكن أن نعتبر التعليم مهنة، وإذا كان التعليم

مهنة فما هي أهم مقوماتها؟ للإجابة على هذه التساؤلات ظهر اتجاهين مختلفين في طرحهما للإجابة على إشكالية مهنة التعليم. فأصحاب الاتجاه الأول ومعظمهم من المعلمين والتربويين يقرون بأن التعليم مهنة من المهن الرفيعة والدقيقة والحساسة التي تحتاج إلى إعداد جيد يخضع له أي شخص يرغب في الالتحاق بها، فالتعليم مهنة لها أصولها العريقة وعلم له شروط ومقوماته وفن له مواهبه ومهاراته، فضلا عن كونه عملية تعليمية تربوية تقوم على أسس وقواعد ونظريات تتعلق بطبيعة وبناء وتكوين الأجيال (المهدي، مرجع سابق، ص36). وحثهم في ما تحمله هذه المهنة من خصائص ومقومات تميزها عن بقية المهن الأخرى وفي نفس الوقت ترسم حدودها والتزاماتها التي لا تخرج عنها ومتطلباتها كأبي مهنة أخرى، كونها مهنة تقوم على أساس علم له أصوله وأساليبه وتقنياته التي لا يتقنها ويتحكم فيها سوى ذوي الاختصاص.

ونظرا لأهمية هذه المهنة، فقد عبر عنها شاندرل Chandler في كتابه التربية والمعلم الجديد: « بأنها المهنة الأم لكل المهن الأخرى كما أنها لازمة لها، وتعتبر المصدر الأساسي الذي يمهّد للمهن الأخرى ويمدها بالعناصر البشرية المؤهلة علميا واجتماعيا وفنيا وأخلاقيا، لأنها تتعدى مجرد المهنة العادية فكل المهن ماعدا مهنة التعليم تعد الأفراد للقيام بمهام محددة في نطاق مهنة معينة، بينما سبقت مهنة التعليم كل المهن جميعها بالتدخل في تكوين شخصيات هؤلاء الأفراد قبل أن يصلوا إلى سن التخصص في أية مهنة» (رباح ، دودين، 2005، ص115). معنى ذلك أن كل أفراد المجتمع الذين يمارسون مهام في شتى الميادين وكافة المجالات قد مروا كلهم من خلال مراحلهم التعليمية في المدرسة بنماذج من الأساتذة والمعلمين، أخذوا منهم قيما تم غرسها فيهم وعلى أيديهم تم تعليمهم وتطبيعهم حتى صاروا في مواقعهم المهنية الحالية التي من خلالها يساهمون في بناء ورقي مجتمعاتهم، فاعتبرت بذلك

مهنة التعليم، أخلاقيتها وأدوار المعلم القدوة _____ أ.نادية دشاش

« من أشرف الصناعات بعد النبوة » (المهدي، مرجع سابق، ص37) أما أصحاب الاتجاه الثاني يرون أن التعليم لم يرقى بعد إلى مستوى المهنة، حيث صنفت كحرفة أو شبه مهنة وفقاً للمستويات الثلاث التي تقسم إليها الأعمال المختلفة على النحو التالي:



مخطط رقم 01 يوضح مستويات ترتيب مختلف الأنشطة والأعمال

حسب هذا المخطط نجد أن مفهوم المهنة يحتل مكان الصدارة في ترتيب الخدمات المختلفة وفق المستويات السالفة الذكر، وقد اعتمدوا في تحليلهم على أن الطريقة المتبعة في إعداد المعلم وتكوينه لا تخضع لنفس المعايير داخل المجتمع المعتمدة في المهن الأخرى وأن مهنة التعليم مهنة من لا مهنة له، فهي المأمّن لمن لم يجد عملاً من أصحاب المؤهلات الجامعية. (تركبي، 1996، ص191) ولو دققنا أكثر في معنى كلمة مهنة التعليم نجدها تتكون من مقطعين أولهما المهنة والتي تشير إلى مجموعة من السلوكيات التي يتضمنها القيام بعمل ما للفرد مثل المهن الأخرى كالطب، التجارة، المحاماة وغيرها، ولكن عندما يرتبط مصطلح المهنة بمصطلح تعليم يكون أكبر وأشمل من مجرد مجموع سلوكيات تتضمنها أي مهنة بل تتعدها، "لأن الخطأ في أي مهنة أخرى يسهل احتواؤه والسيطرة عليه أما في مهنة التعليم فالخطأ أكبر، لأنه خطأ جماعي قبل أن يكون فردياً يصعب السيطرة عليه كما أنه يؤثر على

المجتمع ككل". (دندش، عبد الحفيظ، 2002، ص96) وبالنظر للشروط السالفة الذكر والتي يجب توافرها فيما يسمى بالمهنة، فإن وجود أغلبها في أي مهنة من المهن قد يعطيها القوة للظهور وأخذ مكانها الملائم في المجتمع. وإذا كانت المهنة ظاهرة اجتماعية تنمو صعودا على سلم الحراك المهني، فإن الحاجة تبدو ملحّة خاصة في مجال التعليم للوصول إلى معايير تقيس في ضوءها مدى توفر المعلم ومنه مهنة التعليم لشروط تؤهله وتؤهلها لعملية اكتساب صفة المهنية.

وفي ظل تلك المعايير التي تؤهل مهنية أي مهنة فإننا ندرك حقيقة أن مهنة التعليم تتوفر هي بدورها على مجموعة من الشروط تتمثل في النقاط التالية:

- تشمل مهنة التعليم على تقديم خدمات للمجتمع من خلال تكوين قاعدي للأجيال وتلقينهم تراث وثقافة المجتمع الذي يعيشون فيه.

- يتطلب التعليم من المعلم أن يكون على قدر كبير من المعرفة والمهارة في ظل ما يسند إليه من أدوار ومسؤوليات ويعد إعدادا معرفيا وثقافيا ومهنيا يجعلهم مستوفين شروط قبولهم في مجال التعليم (البيعي، 2010، ص23)

- يتلقى مستخدموا التعليم تكويننا يهدف إلى اكتسابهم المعارف والمهارات اللازمة لممارسة مهنتهم كما أنهم معنيين بعمليات التكوين المستمر خلال مسارهم المهني.

(القانون التوجيهي للتربية الوطنية، 2008، المادة 77 و78)

- لعملية التعليم قانون أخلاقي يحكمها وقواعد أخلاقية تتضمن أدوار المعلم ومسؤولياته والمبادئ والقواعد السلوكية التي عليه الالتزام بها (البيعي، مرجع سابق، ص22). من هذا المنطلق نستخلص أن التعليم مهنة لها هي أيضا شروطها ومقوماتها وأصولها وطرائقها وأهدافها التي غالبا ما تكون مرسومة ومحددة المعالم وتترك أثر بالغ الأهمية وطويل المدى على الفئة المستهدفة، لما تتسم به من شمولية

مهنة التعليم، أخلاقيتها وأدوار المعلم القدوة _____ أ.نادية دشاش

ومسؤولية في تنمية مختلف الجوانب العقلية، الجسمية والانفعالية للفرد. بما يتماشى مع مصلحته ومصلحة المجتمع معا.

3- العملية التعليمية وعناصرها الفاعلة:

لقد ازداد الاهتمام بالعملية التربوية اهتماماً كبيراً في عصرنا الحاضر لما تلعبه من دور بارز في تنمية الشخصية الإنسانية تنمية متكاملة من جميع النواحي العقلية، النفسية، الجسمية وكذا الاجتماعية إلى أقصى درجة ممكنة تسمح بها إمكانات الفرد واستعداداته وقدراته، بحيث يصبح فرداً منتجاً قادراً على العطاء والبناء والتطور في المجتمع الذي يعيش فيه (ناصر، 1996، ص 17)، والعملية التربوية من خلال العلاقة التربوية معلم - متعلم تعني مجموع العلاقات الاجتماعية التي يمكن أن تنشأ بين المربي ومن يقوم بتربيتهم من أجل تحقيق أهداف تربوية في إطار بنية مؤسساتية معينة تسمى المدرسة، هذه العلاقات التي تتميز بخصائص معرفية، انفعالية واضحة ولها تسلسل وسيرورة. هذه الوضعية المدرسية النفسو-اجتماعية وصفت على أنها سلسلة من العلاقات الحميمة المرتبطة بشخص المعلم في علاقة منتظمة مع مجموعة من التلاميذ مهما كانت فئتهم العمرية، أطفال أو مراهقين، وتحتوي هذه العلاقة على خاصيتين، الأولى عاطفية مصدرها شروط ومتطلبات العلاقة معلم - متعلم وما تحتويه من اتصال وتفاعل داخل المحيط العلائقي، أما الثانية يمكن وصفها على أنها علاقة بيداغوجية، مصدرها شروط ومتطلبات إيصال المعرفة وتدخل ضمن المحيط الإجرائي. إذن فإن طبيعة هذه العلاقة لا يمكن أن نصفها في محيطها الضيق المتمثل في معلم، متعلم وتلقين المعرفة بل يجب أن تكون مبنية على احتياجات أساسية مثل رغبة التلميذ في النمو والقيام بتجارب جديدة واكتشاف خصائصها المختلفة وكذا الحاجة للتعبير والتبادل والتفاعل الاجتماعي.

من خلال ما سبق نجد أن عناصر العملية التعليمية بكل أبعادها يمكن أن نلخصها في ثلاثية أساسها المعلم والمتعلم والموقف التعليمي وما يحمله هذا الأخير من أبعاد ومكونات كالمنهاج، الكتاب المدرسي، البرنامج الدراسي الخاص بالمادة ومختلف الوسائل البيداغوجية المدعمة لعملية التدريس. فبالنسبة للمتعلم أو التلميذ بكل خصائصه ومميزاته هو ذلك العنصر الذي يسعى أو يأمل في الحصول على المعرفة و بالتالي النجاح، أما المعلم فهو حجر الزاوية في نجاح العملية التربوية ومدى تحقيقها للأهداف والغايات المسطرة لها مستقبلا ضمن ما يسمى بالموقف التعليمي الذي يقصد به الوسط الذي تتم فيه التفاعلات المتضمنة للعملية التربوية والتي تقوم بها العناصر الأساسية المشكلة لها من أجل تحقيق الأهداف التربوية هذه الأخيرة التي تتسم بالعمومية والمعلمين من خلال أدوارهم مطالبين بتحويل هذه الأهداف العامة إلى أهداف إجرائية عملية وكذا تحديدها وجعلها قابلة للتقويم"

(Durand, Op.cit, p48) وإذا كان أحد أهداف العملية التعليمية تنمية شخصية الفرد وإكسابه اتجاهات إيجابية نحو المجتمع وثقافته وتحقيق تكيفه الشخصي والاجتماعي وتزويده بالخبرات والمهارات التعليمية التي تمكنه من أداء دوره الوظيفي الذي يتوقعه المجتمع منه فإن دور المعلم يرتبط بتلك الأهداف العامة. ومما لا شك فيه أن مقدرة المعلم على الوفاء بمسئوليته تجاه المجتمع والتلميذ تتحدد بمدى استيعابه لأهداف العملية التعليمية ومتطلبات المجتمع وتوقعاته من دوره كمعلم، كما أن أداءه لدوره التربوي والتعليمي يتأثر أيضاً بمدى إتقانه للمهارات والمعارف المرتبطة بتخصصه وقدرته على الانتقاء والاختيار من خبراته بما يؤثر به على خبرات ومهارات الآخرين، واستجابته واستيعابه للمستحدثات التربوية ووسائل التعليم وظروف التغير بالنسبة للمجتمع ومتطلباته وتوقعاته المتجددة من دوره كمعلم

مهنة التعليم، أخلاقيتها وأدوار المعلم القدوة _____ أ.نادية دشاش

(شتا ، 1999، ص37) وتعني هذه العملية المهمة عند المعلمين بكل بساطة القدرة أو عدم القدرة على تنظيم أنشطتهم في ضوء علاقتها بالأهداف التربوية الرسمية.

3- وظائف المعلم القدوة وأدواره التربوية:

لقد حظيت مهنة التعليم باهتمام كبير نظراً للدور الحيوي الذي يؤديه المعلمين باعتبارهم دعامة كل تطور وتقع عليهم مسؤولية إعداد أجيال الأمة ورعايتهم وتشكيل مستقبلهم، وطبيعة عمل المعلم تجعله يضطلع بالعديد من الأدوار. ويقصد بالأدوار مجموعة الأعمال، المهمات والمسؤوليات المعينة مسبقاً والتي ينبغي أن يقوم بها المعلم في المدرسة أو المتوقع منه أن يقوم بها. وينفرد القائم بمهنة التعليم أي المعلم بمجموعة من الخصائص تميزه عن الأدوار والمهن الأخرى في عدة مكونات نذكر منها:

➤ إن دور المعلم من بين الأدوار التي يصعب تحديدها نظراً لكونه يتعامل مع الأفراد في مراحل النمو والتكوين، تنقصهم الخبرة والمعرفة فهو بالنسبة لهم المثال والقدوة والنموذج الأعلى، والعلاقة بين المعلم والمتعلم لا تنتهي بانتهاء الموقف التعليمي بل يمتد تأثيرها على شخصياتهم وتشكيل مستقبلهم.

➤ يعتمد المعلم في القيام بدوره على مقومات شخصيته وما تحمله من خصائص شخصية واجتماعية معينة تمكنه من التأثير على المتعلمين، وكذا تمكنه من علم متخصص وثقافة عالية الأفق.

➤ يتعامل القائم بمهنة التعليم أثناء أداء أدواره ومسؤولياته مع عدد كبير من المتعلمين في وقت واحد، بعكس أي مهنة أخرى ويكون تأثيره فيهم جماعياً وإليه يعزى أي نقص أو قصور في تربيتهم وتعليمهم.

وعليه نستنتج بأن مختلف الأدوار التي يجب أن يقوم بها المعلم تساعد على التسيير الجيد لنشاطاته، علماً أن عمل المعلم لا يقتصر فقط على تلقين التلميذ لمعارف

جديدة، فلو كان الأمر كذلك فما حاجتنا للمعلمين، في حين يمكن أن يستعين المتعلم بالتكنولوجيات الحديثة لكي يكتسب معلومات ومعارف جديدة دون اللجوء للمعلم، لكن دوره يتعدى مجرد ناقل للمعلومة بل يجب أن تتوفر لديه عدة مهارات تساعد على النجاح في مهمته وذلك بمراعاة النمو المعرفي، الاجتماعي والنفسي للتلميذ، وبناء علاقة حقيقية معه والعمل على أن يسود القسم جو من الحماس الملائم والمحفز للتعلم، هذه العلاقة معلم - متعلم التي تتشكل من خلال سيورة العملية التعليمية أين يجب على المعلم أن يلعب فيها ومن خلالها كل الأدوار المنوطة بمهنة التعليم. وبذلك نجد أن أدوار المعلم تتضمن ثلاثة مفاهيم أساسية، الدور كسلوك ويعني بذلك الربط بين أدوار المعلم والسلوكيات التي تميزه كصاحب عمل، والثاني دوره المتمثل كشخصية أو مكانة اجتماعية مركزين بذلك على مجتمع المعلمين وصفاتهم وكيفية الانتماء إليهم وأخيرا المفهوم الثالث والمتعلق بالدور المتوقع من قبل المعلمين أنفسهم أو كما يراه الآخرون. وينظر علماء " التنمية البشرية " للمعلم على أنه يشكل المصدر الأول للبناء الحضاري الاقتصادي الاجتماعي للأمم من خلال إسهاماته الحقيقية في بناء وتكوين البشر، والحجم الهائل الذي يضاف إلى مخزون المعرفة، الذي عبرت عنه نظرية " رأس المال البشري " بأنه كلما نجح المعلم في زيادة المستويات التعليمية لأبناء الأمم، كلما ارتفعت معها مستويات المعرفة ومن ثم ترتفع مستويات الإنتاج القومي العام، والذي بدوره ينعكس على زيادة مستويات دخل أبناء الأمم وتحقيق الرفاهية الاجتماعية (متولي، 1996 ، ص10)

4- مهنة التعليم و أخلاقياتها.

عندما نتكلم عن التربية والتعليم يتضح الدور المهم للمعلم، نظرا لمركزه الأساسي في النظام التعليمي، باعتباره حجر الزاوية في أي إصلاح أو تطوير

تربوي، ولهذا وفي ظل التطورات العلمية والتكنولوجية المتسارعة لم يعد يكفي أن يتقن المعلم المادة العلمية التي يلقنها للمتعلمين، بل أن يكون قادرا على تحديد معلوماته باستمرار ومتابعة المستجدات العلمية والمهنية وأن يكون متفتحا على المعرفة العلمية، وقادرا على بناء علاقات إيجابية مع الآخرين وعلى الانفتاح على المجتمع المحلي والعالمي. (الأحمد، 2005، ص10) ونظرا لأهمية التعليم في بناء الحضارات والمجتمعات، فقد حاول المربون تقديم تعاريف بأشكال متعددة منها من اعتمد على الجوانب التعليمية التنظيمية ومنها من ركز على الجوانب الأدائية، إلا أنه ورغم هذا الفيض من الآراء والرؤى المختلفة، ليس من المهم أن نضع تعريفاً شاملاً وموحداً، لكن الأهم من ذلك أن نفهم وأن ندرك ما لهذه العملية من قيمة في حياة الأفراد والمجتمعات. والمستقرئ اليوم لتاريخ الفكر البشري وإنجازاته، يصل إلى نتيجة مفادها أن التنافس اليوم أصبح تنافسا هدفه إنتاج المعرفة والتحكم فيها وتوظيفها، ومدى قابليتها للتطبيق، وقد فرض تسارع النمو في جميع المجالات الحضارية والإنسانية وتطور النظريات والتطبيقات التكنولوجية على المعرفة أن تزيد من سرعتها ونموها من حيث الكم والكيف. وبالتالي أصبح التعليم كعملية يتضمن ثلاث مهارات أساسية تتمثل في: «التخطيط ومهارة التنفيذ ومهارات التقويم. والتعليم يعني القدرة على المساعدة في حدوث التعلم وتنمو هذه القدرة عن طريق الإعداد والمرور بالخبرات المناسبة، وتعني أيضا أداء سلوكي معين يمكن ملاحظته ومعرفة نتائجه» (شبر، جامل، أبو زيد، 2005، ص16) ومع ارتفاع مجتمع اقتصاد المعرفة يظل التعليم بمثابة الهواء المنعش الذي يتنفسه الجميع ويصبح التعلم هو « التكيف اجتماعيا وفقا لمبدأ البقاء للأصلح والأصلح هنا هو الأقدر على مواكبة التغير المجتمعي المتسارع» (سلطان، خضر، 2010، ص27)، ومما لاشك فيه أن أخلاق المعلم وممارسته الشخصية مع تلاميذه ومع المجتمع المحلي بصفة عامة لها

دورها المؤثر في بلورة تلك الصورة وتثبيتها في عيون تلاميذه وقلوبهم. (طافش، 2005، ص397) ونظرا لتمييز هذا العنصر في المنظومة التربوية وكذلك لخطورة الدور الذي يلعبه، كان يجب عليه أن يلتزم بمجموعة من الواجبات والأدوار المنوطة به وتسير مهنته، ملتزما بذلك بأخلاقيات مهنة التعليم من جميع نواحيها، على أساس أن أي مهنة لا بد لها من أخلاقيات تنظم السلوك العام لأعضائها للحفاظ على إستمراريتها وتطويرها وبقائها. إن الدور الذي يلعبه المعلم في العملية التربوية وبالأخص فيما يتعلق بعملية التنشئة الاجتماعية، دورا جد مهم لا يمكن الاستغناء عنه فمن خلاله تظهر أهمية ومكانة المعلم في المجتمع. « فالمعلم ليس مجرد شخص يمتلك شهادات علمية، تفيد بأنه أهى برنامجا محمدا في مادة تخصصه، لكنه ذلك المعلم الذي يمتلك قدرا كافيا من الكفايات التربوية التي تمكنه من أداء المهارات المختلفة التي تتطلبها المواقف التعليمية المتنوعة على وجه أحسن» (نفس المرجع، ص15)، ومما لا شك فيه أيضا أن التربية ترتكز على قيم أخلاقية مؤسسة وسليمة، بالإضافة إلى آليات علمية تمكن حاملها أي المعلم من اكتساب مهارات وكفاءات علمية بيداغوجية متخصصة، تهدف إلى تقديم تربية صحيحة وفعالة للأجيال التي يعول عليها مستقبلا. مما جعل الكثير من الباحثين يفكرون في ضرورة صياغة قانون أخلاقي يسير مهنة التعليم وممتنيتها والذي يعتبر خطوة لا بد منها في طريق العمل التربوي الناجح. وبناءا عليه نجد أن معظم الأنظمة التربوية في مختلف المجتمعات المتقدمة منها والنامية، تتفق على مبادئ أساسية لمهنة التعليم. ففي الجزائر مثلا نجد أن ميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية الصادر في شهر أفريل 2010 (ميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية، 2010، ص ص 4-5) ينص على مجموعة من المبادئ الأساسية المتمثلة في مجموعة من الالتزامات يجب أن يقف عليها المعلم منها:

✓ أن يكون مثالا للكفاءة وحسن الخلق والترهة والتسامح وأن يقدم صورة مثالية عن المؤسسة التي يعمل بها، وعليه أن يحترم مبادئ هذا الميثاق عن طريق حسن التصرف أثناء ممارسة مهامه، تميزه الفعالية، الكفاءة والاستقلالية والأمانة وحسن النية، والتحلي بالضمير المهني الحي. « والحزم والإنضباط، وحسن المظهر، وبشاشة الوجه، والصدق والحلم، سمات رئيسية في تكوين شخصية المعلم» من قانون أخلاقيات مهنة التعليم بالمملكة العربية السعودية (ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم، 2006، ص9) كذلك المشاركة في ديناميكية عملية تقييم النشاطات البيداغوجية والعلمية في جميع المستويات والتصرف كمحترف في التربية عن طريق الإطلاع على المستجدات والسهر على التحسين المتواصل لمعارفه وطرائقه في التدريس والتكوين والقيام بالتقويم الذاتي وتحمل أعباء المسؤولية الملقاة على عاتقه « مدركا المعلم بذلك أن النمو المهني واجب أساس، والثقافة الذاتية المستمرة منهج في حياته، يطور نفسه وينمي معارفه منتفعا بكل جديد في مجال تخصصه، وطرق التدريس وفتياته». (نفس المرجع، ص 9) وفي نفس الوقت القيام بالتدريس تماشيا مع المعايير الأدبية والمهنية العالمية في جو يسوده العدل والإنصاف تجاه جميع الطلبة دون استثناء، مشجعا التبادلات الحرة للأفكار فيما بينهم ومستعد مرافقتهم عند الحاجة. كذلك الامتناع عن كل أشكال التمييز على أساس الجنس والجنسية، الوضع الاجتماعي أو الانتماء الديني، الاختلاف في التوجه السياسي أو بسبب الإعاقة أو المرض، مطبقا بذلك مبدأ العدل « بين المتعلمين في عطائه وتعامله وتقويمه لأدائهم » (نفس المرجع، ص11) وأخيرا احترام قواعد التدرج البيداغوجي وتقييم الطلبة تقييما موضوعيا.

وفي نفس السياق جاء القانون التوجيهي للتربية الوطنية 2008 (القانون التوجيهي للتربية الوطنية، مرجع سابق، ص ص17-18) ليركز على دور المدرسة في التهذيب والتنشئة الاجتماعية والتأهيل، وتوصيل المعارف والمهارات الضرورية لمواصلة التعلم والاندماج في الحياة العملية واعتبار التربية كاستثمار إنتاجي وإستراتيجي مؤكدا على مكانة التلميذ الذي يجب أن يحتل مركز العلاقة التربوية، كما يلح هذا القانون على المعلمين والمربين في بعض موادّه بضرورة تقيدهم بالبرامج التعليمية والتعليمات الرسمية (نفس المرجع، ص46) منها:

- أن يكلف المعلمون أثناء القيام بواجبهم المهني بمبادئ الإنصاف وتكافؤ الفرص والحرص على إقامة علاقات أساسها الاحترام المتبادل والتراحم والموضوعية مع التلاميذ .

- أن يكلف المعلم بتربية التلاميذ على قيم المجتمع الجزائري من خلال القيام بمهامهم وسلوكهم وتصرفاتهم، بغرس قيم المواطنة وقواعد الحياة الاجتماعية، معززا بذلك «الإحساس بالانتماء للدين والوطن، والتفاعل الإيجابي مع بقية الثقافات» (ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم، نفس المرجع، ص12)

- يمنع كل أشكال العقاب البدني والعنف المعنوي (القانون التوجيهي للتربية الوطنية، مرجع سابق، ص 21) فالمعلم نموذج للحكمة والرفق، يمارسهما ويأمر بهما، «متجنباً العنف معوداً طلابه على التفكير السليم والحوار البناء وحسن الإستماع إلى آراء الآخرين والتسامح مع الناس والتخلق بخلق الإسلام في الحوار ونشر مبدأ التشاور» (ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم، مرجع سابق، ص12)

- يتولى المعلمون دور الإرشاد والإعلام (القانون التوجيهي للتربية الوطنية، مرجع سابق، ص 55) لتكون مسؤولية المعلم اتجاه التلميذ، مسؤولية تربوية وأخلاقية في نفس الوقت. وليس ببعيد عن المبادئ السابقة، أكد القانون الذي وضعه جوزيف

سولاي Joseph Soleil (2009, le code soleil) على تحقيق ثلاث أهداف أساسية تتعلق بالنظام التربوي تتجلى في:

- تكوين الرجال
- تكوين العمال
- تكوين المواطن

وعليه يجب أن يقدم للتلاميذ: كل آليات المعرفة التي تساهم في إيقاظ ذكاهم والتفكير العقلاني فيهم وتجلب انتباههم للحصول على الثقافة بكل مصادرها المختلفة، وتنمي فيهم القدرة على التفكير الصحيح والحس النقدي، كذلك الإحساس بالمسؤولية واحترام حقوق الإنسان.

أما القانون الخاص بأخلاقيات مهنة التعليم الصادر في بيان منظمة التعليم الدولية فيما يخص نقطة التعامل مع التلاميذ والالتزام إتجاههم فقد ذكر المبادئ التالية:

(اجبارة، 2009، ص ص77-78)

- على جميع العاملون في مجال التعليم احترام حقوق جميع الأطفال، وبالأخص طلابهم، في الاستفادة من جميع النصوص المحددة في اتفاقية الأمم المتحدة حول حقوق الطفل، خاصة تلك المرتبطة بالتعليم.
- حماية وتشجيع مصالح ورفاهية الطلب وبذل جهود حمايتهم من كل أنواع العنف وسوء المعاملة.
- إقامة علاقات مهنية مع التلاميذ والاعتراف بالفردية والحاجات الخاصة بهم وإرشادهم وتشجيعهم على استغلال طاقتهم الكامنة.
- إعطاء التلميذ الشعور بأنه جزء لا يتجزأ ضمن مجموعة تتمتع بالتزامات متبادلة مع إعطاء المجال لكل فرد فيها وممارسة السلطة مع العدل والتعاطف.

مهنة التعليم، أخلاقيتها وأدوار المعلم القدوة _____ أ.نادية دشاش

وعليه نجد أن معظم الأنظمة التربوية في مختلف المجتمعات المتقدمة منها والنامية، تتفق على مبادئ أساسية لمهنة التعليم وقد أوجزها الترتوري و القضاة (الترتوري، القضاة، 2006، ص ص50-51) ضمن مجموعة من المبادئ على النحو التالي:

المبدأ الأول: المسؤولية الأساسية لمهنة التعليم تكمن في إرشاد الأطفال، والشباب والكبار طلباً للمعرفة، واكتساباً للمهارات، وإعدادهم للحياة الكريمة الهادفة التي تمكنهم من التمتع بحياتهم وتحقيق ذاتهم في الحياة. وهذا يتطلب من المعلم أن يعامل التلاميذ بالعدل والمساواة دون تمييز بسبب اتجاه حزبي، أو عقيدة دينية، أو مكانة اجتماعية اقتصادية ويراعي الفروق الفردية بين التلاميذ من أجل تلبية حاجاتهم الفردية ويشجع ويحفز التلاميذ على العمل من أجل تحقيق الأهداف المخطط لها والتي تتناسب مع نموهم المتكامل. مع احترام حق كل تلميذ في الحصول على المعلومات الصحيحة وحسن الاستفادة منها مستقبلاً.

المبدأ الثاني: مسؤولية المعلمين تكمن في مساعدة التلاميذ على تحديد أهدافهم الخاصة وتوجيهها نحو أهداف مقبولة اجتماعياً، وهذا يتطلب من المعلم أن يكون قادراً على بناء علاقات تعاون مع الآباء من أجل تكامل نمو التلاميذ من خلال تزويدهم بما يجب من معلومات حول أبنائهم وغرس الثقة في نفوس التلاميذ سواء كان ذلك بالبيت، المدرسة أو المجتمع.

المبدأ الثالث: أن يلتزم المعلم بالسلوك الاجتماعي المقبول في المجتمع من خلال قيامه بواجباته في غرس قيم المواطنة الصحيحة، ليكون مثلاً يقتدى به في المجتمع وأن يحرص على الحفاظ على مكانة المدرسة كمؤسسة تربوية أو كملت لها مهمة التنشئة الاجتماعية وتربية الأجيال.

إن التحليل لمحتوى مختلف المواثيق التي سبق ذكرها وما تضمنته من أخلاقيات تعتبر بمثابة مجموعة من الواجبات التي يتوجب على من يمتحن هذه المهنة العمل بها

والحرص على تمثلها داخل البيئة التربوية وخارجها ومع مختلف الشرائح التي يتعامل معهم سواء كانوا متعلمين، زملاء عمل، رؤساء، أسرة والمجتمع ككل. هذه الواجبات التي تعبر في الواقع عن خصائص المعلم التي يجب أن يمتلكها ويجب التلاميذ أن تكون في شخصه.

إن المتفحص لمختلف البنود والمبادئ السالفة الذكر يجدها تحتوي في مجملها على مجموعة من الأبعاد التي يجب على المعلم مراعاتها والمرتبطة ارتباطا وثيقا بخصائص المعلم القدوة تتمثل في **البعد المهني** (المرتبط بالخصائص المهنية) والمتمثل في الإخلاص في العمل، تشجيع التلاميذ من أجل تحقيق الأهداف التربوية مع مراعاة فروقهم الفردية وترسيخ قيم المواطنة لديهم وإحترام حقهم في الحصول على المعرفة، بالإضافة لدوره كمرشد لهم، يساعدهم على تحقيق أهدافهم التربوية، أما **البعد الشخصي والإنساني** (المرتبط بالخصائص الشخصية) فيتمثل في أن يكون صادقا، مثل أعلى وقدوة لهم وللمجتمع ككل، وأن يتميز بالعدل والمساواة بين مجموع المتعلمين، كذلك قدرة المعلم على ربط علاقات إنسانية مع كل المتعاملين من أولياء وتلاميذ وزملاء العمل وحتى الإدارة. بمفهومها الواسع بالإضافة إلى مساهمته الفعالة في حل ومعالجة القضايا التي يعيشها المجتمع الذي يتواجد فيه. أما **البعد المعرفي** فيتمثل في أهمية إطلاع المعلم على كل جديد في مجال تخصصه، وأن يكون واسع الثقافة، يسعى إلى النمو مهنيا بهدف تحيين ثقافته التخصصية المستمرة، وبذلك تكون أكبر خدمة يمكن للمعلم أن يقدمها للمجتمع هي بالفعل تعليم وتربية أبناءه.

الختام:

إن المتتبع لتاريخ المهنة يجد أن مهنة التعليم من أقدم المهن التي عرفتها البشرية لما لها من دور في رفع مستوى الإنسان والرقى به لأعلى المستويات، وتميزها كمهنة يكمن في وجود قواعد أخلاقية تحكمها، تعتبر كإطار مرجعي يحدد لكل فرد من أفرادها المسار الذي لا يجب الخروج عنه، وإذا أردنا أن نعرف مهنة التعليم نجدها عبارة عن عمل يؤدي خدمة اجتماعية معينة ومتفردة تنظم علاقاتها وفق مبادئ وقواعد أخلاقية محددة، بحيث يلتزم بها أعضائها في تعاملهم مع الآخرين سواء كانوا متعلمين، معلمين أو أولياء. وتتمثل خصوصية مهنة التعليم في اختلاف تفاعل الأفراد داخل النظم المعرفية، فمن جهة فئة المعلمين الذين يتميزون بالنضج ويمتلكون قاعدة معرفية واسعة ومعقدة في مجال تخصصهم ويتمتعون ببنية معرفية متوازنة، ومن جهة أخرى فئة المتعلمين الذين يتميزهم حسب مستوى نموهم المدرسي المتواجدين فيه، يمتلكون بنية معرفية تفتقر للنضج، مقدرتهم على الاستدلال محدودة، معارفهم ومعلوماتهم قليلة، بطيئين في معالجة المعلومة، فكلما زادت الفجوة بين مستوى المعلمين ومستوى التلاميذ صعبت مهنة المعلم والعكس صحيح. لذا تعتبر مهنة التعليم، مهمة جد صعبة ومعقدة.

المواشم:

1. اجبارة حمد الله (2009)، مؤشرات كفايات المدرس: من صياغة الكفايات إلى وضعيات متطابقة (ط1)، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، المغرب.
2. الأحمّد خالد طه (2005)، تكوين المعلمين من الإعداد إلى التدريب، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة.
3. الترتوري محمد عوض ، القضاة محمد فرحان (2006)، المعلم الجديد، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان.
4. البقيعي نافز أحمد، التربية العلمية الفاعلة، دار الميسرة، عمان، الأردن، 2010.
5. القانون التوجيهي للتربية الوطنية، المؤرخ في 23 جانفي، 2008.
6. تركي رابح، أصول التربية (1996)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
7. توفيق محمد مرعي، محمد محمود الحيلة (2002)، طرائق التدريس العامة، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
8. رباح رشيد ، دودين حمزة محمد (2005)، الوظائف التفاعلية والتنظيمية للتعليم، دار الكتاب الجامعي، غزة.
9. دندش فايز مراد ، عبد الحفيظ الأمين (2002)، دليل التربية العلمية وإعداد المعلمين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
10. ناصر إبراهيم (1996)، دار عمار، عمان.
11. شتا السيد على (1999)، المدرس في مجتمع المستقبل، الإشعاع الفني، القاهرة.
12. متولي غنيمة محمد (1996)، القيمة الاقتصادية للتعليم في الوطن العربي "دراسات وبحوث"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

13. شبر خليل إبراهيم ، جامل عبد الرحمن ، أبويزيد عبد الباقي (2005)، أساسيات التدريس، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.
14. سلطان سوزان أكرم ، خضر ضحي حيدر (2010)، المؤسسات التربوية كمنظمات متعلمة، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان.
15. طافش محمود (2005)، كيف تكون معلما مبدعا: دليل المعلم المبتدئ، دار جهينة للنشر والتوزيع، عمان.
16. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (أفريل 2010)، ميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية، الجزائر.
17. وزارة التربية والتعليم (2006)، ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم (ط1)، شركة المطابع الأهلية للأوفست المحدودة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
18. Bordeleau. C, L. Morency (2005), *L'art d'enseigner*, Gaétan Morin éditeur, Paris.
19. Duran. M., (1996), *L'enseignant en milieu scolaire*, 2^{eme} édition, Presses, Paris.
20. http://crpe.free.fr/le_code_soleil.htm, consulter le 25.02. 2009 à 14.25h.